

جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المحاضرة الرابعة
تطور الأشكال والأساليب والمفاهيم الجمالية في
كتاب (قضايا الشعر المعاصر)

محاضرة مقدمة من طلبة الدراسات العليا
دكتوراه الأدب
٢٠٢٥ - ٢٠٢٦

إعداد : بنين عبدالله فليح

إشراف : أ.د. لؤي صيهود التميمي

تُعَدُّ نازك الملائكة واحدة من ابرز رواد حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث ، وشكّلت علامة فارقة في فهم طبيعة التطور الذي أصاب الشعر العربي في منتصف القرن العشرين .

رغم إن نازك الملائكة دافعت بقوة عن الشعر الحديث بوصفه استجابة لروح العصر ، إلا إنها لم تقطع صلتها في التراث ، فتري أن كل تجديد حقيقي يجب أن ينبع من الجذور القديمة ، لا أن يكون تقليدًا للغرب أو تمرّدًا أعمى على الماضي ، كانت نازك من اكثر الأصوات حرصًا على التراث ؛ إذ ترى أن الشعر العربي الحديث يجب أن يتكئ على جذوره القديمة كي لا يتحوّل إلى تقليد غربي ، فتري أن الشعر الحديث ولد من تفاعل حي بين الماضي والحاضر ؛ إذ تقول : (إن شعرنا الجديد مستمد من عروض الخليل بن أحمد ، قائم على أساسه ، بحيث يمكن أن نستخرج من كل قصيدة حرة مجموعة قصائد خليلية وافية و مجزوءة ومشطورة ومنهوكة) (١) إذن نازك وضعت التراث كأرضية انطلاق ، وليس قيد فهي ترى أن الشاعر الحديث مطالب بأن يعرف العروض والبحور ، ثم يبتكر ضمنها .

قارنت نازك بين البناء الموسيقي في الشعر العربي القديم القائم على وحدة البحر والوزن ، وبين محاولات الشعر الحديث في تنويعها ، كما قارنت بين لغة الشعر القديم والحديث ، وبين المفاهيم الجمالية والفكرية ، ومن هنا طرح السؤال الآتي : كيف تجلّت هذه المقارنة ؟ وما هو موقفها ؟

أولاً : تطوّر الأشكال الشعرية

تطور الشكل الشعري ، فتخلّى عن نظام البيت ، لكنه حافظ على الوزن (التفعيلة) ، وأعطى حرية في القافية ، والموسيقى ، فصار الشكل الشعري مرناً يتسع للتجربة الداخلية ، وتوقفت نازك عند هذا التطور ، واعتبرت بأن الشعر الحديث ليس انقطاعاً عن العمود التقليدي ، بل هو امتداد له بطريقة مختلفة ، فقصيدة الشعر الحر ولدت من حاجة الشاعر للتعبير عن تجربة جديدة لا يمكن أن يتحملها الوزن الواحد ، فكان لابد من البحث عن شكل مرّن يوازي التوتر النفسي والفكري الذي يعيشه الإنسان المعاصر ، فتري إنه (محاولات لإحداث توازن جديد في موقف الفرد والأمة بعد أن اعترت الموقف عوامل خارجية فرضت عليه أن تخلخل بعض جهاته) (٢) ، لكن هل حدث انقطاع ؟ الجواب : لا ، لأنها ترى أن الشعر الحر نظر نظرة (متأملة في علم العروض القديم واستعان ببعض تفاصيله على إحداث تجديد يساعد الشاعر المعاصر على حرية التعبير وإطالة العبارة وتقصيرها بحسب مقتضى الحال) (٣) أي يعتمد على المتلقي ، فالمتلقي يحتاج إلى ألفاظ وصور من

التراث حتى القارئ حتى يفهم القصيدة ، إذن الشاعر المعاصر وجد في نظام الشطرين تقييد لذلك لجأ لتطويره من خلال اعتماد الشطر الواحد ، وهو (غير ملزم باتباع طول معين لأشطره) (٤) ، نجد نازك وضعت الطرفين في علاقة تطوّر طبيعي وليس قطيعة ، وأن التجديد في الشكل نابعاً من حاجة التعبير الفني ، لا من رغبة في المخالفة وأن وحدة القصيدة الحديثة لا تقوم على البحر الواحد أو القافية ، بل على وحدة الشعور والتجربة الداخلية التي تجمع الصور والمعاني في نسيج متماسك ففي قصيدة (كوليرا) (٥) تقول :

طلع الفجر

اصغ إلى وقع خطى الماشين

في صمت الفجر ، أصغ ، أنظر ركب الباكين

عشرة أموات ، عشرونا

لا تحص ، أصغ للباكين

اسمع صوت الطفل المسكين

موتى موتى ، لم يبق غد

ثانياً : تطور الأساليب الفنية

تناولت نازك الأساليب الشعرية الحديثة بروح نقدية واعية ، فهي ترى أن الحداثة ليست في الغموض أو التعقيد المصطنع (٦) ، بل في الصدق الفني والتعبير الأصيل وركزت نازك على اللغة والصورة الشعرية وسلطت الضوء على تطورهما ، وترى أن التطور في الأشكال والأساليب الشعرية جاء استجابة طبيعية لتغير التجربة الإنسانية ، فالشعر القديم كان يعيش تجربة جماعية بسيطة ، أما الشاعر الحديث ، فيعيش قلقاً حضارياً عميقاً ، لذلك يحتاج إلى أسلوب جديد أكثر مرونة

اللغة :

هي الأداة الأهم في بناء القصيدة ، فهي ليست زينة ، بل وسيلة لإيصال التجربة الشعرية ، لكنها تبقى متصلة بالوجدان الإنساني ، ويجب أن تكون بسيطة في ظاهرها ، عميقة في دلالتها ، وترفض نازك التعقيد المقصود ، والمبالغ ، لأن الغموض لا يخلق جمالاً إذا لم يكن نابعاً من التجربة نفسها ، ويجب أن تكون مفهومة لأنها لو كانت غامضة جداً ستتعارض مع التعبير ، ومع لحظة الإبداع الشعري (٧) ومثال على ذلك قصيدة (التمثال) (٨) لعلي محمود طه يقول فيها :

أقبل الليل واتخذت طريقي لك

والنجم مؤنسي ورفيقي

وتوارى النهار

خلف ستار شفقي من الغمام رقيق

مدّ طير المساء فيه جناحاً

كشراع في لجة من عقيق

القصيدة تصوّر دخول الليل من منظور ذات الشاعر تتوجه نحو محبوبها ، الليل هنا ليس زمناً عابراً بل فضاء شعوري تتداخل فيه الطبيعة بالعاطفة ، القصيدة حديثة في شعورها ، لكنها تراثية في لغتها وصورها ، فهي تمزج بي الرومانسية الحديثة (المناجاة والعاطفة) وبين البيان العربي في الصور والجزالة ، فالبيان والجزالة تتمثل في الالفاظ (أقبل ، توارى ، مؤنسي ، ستار ، شفقي ، لجة ، عقيق) ، ونجد ايضاً الفاظ (الليل والنهار والنجم والطير) كلها عناصر لغوية ذات روح تراثية أصيلة ، رغم حداثة القصيدة ، لكنها محافظة على جزالة التراث من حيث البنية اللغوية ، وتوظيف القصيدة ضمن سياق وأسلوب يحمل الطابع التراثي

الصورة الشعرية

قارنت نازك بين الصور الشعرية القديمة التي تعتمد على الوضوح والتشبيه الحسي ، وبين الصور الحديثة التي تميل إلى الرمزية والتكثيف ، وتعدّ الأداة الأهم في بناء القصيدة ، فهي ليست زينة ، بل وسيلة لإيصال التجربة ، الصورة الحديثة عندها تقوم على الانزياح والتركيب المفاجئ ، ترى نازك أن الصورة القديمة كانت نابعة من بيئة بسيطة واضحة ، بينما يعيش الشاعر الحديث في عالم مضطرب معقد ، لذلك تتغير الصورة تبعاً لذلك ، لكن رغم ذلك هي ترفض الغموض الشديد والصور المعقدة جداً فتقول (الشعر الحديث إذا فقد الصدق والوضوح تحوّل إلى لغز لا قيمة له) (٩) وفي قصيدة (تمثال) (١٠) يقول الشاعر :

بيدي هذه جلبتُك ، من قلبي

ومن رونق الشباب الأنيق

كلما شمتُ بارقاً من جمال

طرتُ في اثره أشقُ طريقي

شهد النجم كم أخذت من الروعة عنه

ومن صفاء البريق

يدخل الشاعر فضاءً ذاتيًا ، يستخدم فيه صور تعبر عن قدرة الروح على الخلق وهذه صورة حديثة مبنية على الاستعارة القديمة ، وفي الصورة الثانية وهي جعل الشباب له رونق وإضافة عنصر التشخيص عليها هي صورة تمتد التراث لكن بروح عاطفية حديثة ، وفي الصورة الأخرى وهي جعل النجوم تشهد على الحب متكررة في الشعر القديم ، إذن هي صورة تراثية أيضاً مبنية على الاستعارة ، فأرادت نازك من هذه القصيدة ، إن صور القصيدة واضحة كالصور التراثية على عكس الصور الحديثة التي تكون رمزية ومكثفة ، القصيدة قائمة على التمازج بين التراث والحداثة لتعبر عن تجربة ذاتية حديثة

الإيقاع

الإيقاع في الشعر الحديث لم يختف ، بل تجدد وتحول ، فالشعراء الحداثيون لم يلغوا الموسيقى ، لكنهم رفضوا القيود الصارمة للبحور التقليدية في الشعر العمودي ، وسعوا إلى إيقاع حر ينبع من التجربة الشعورية نفسها ، فتحرر من الوزن والقافية ، وركز على الموسيقى الداخلية (تكرار ، توازي ، مقابلة) ، وهنا طرح السؤال الآتي : هل استغنى الشعراء عن الوزن والقافية ؟ لا ، الإيقاع في الشعر الحديث ليس قطيعة مع التراث ، بل امتداد وتحوير له ، فاستمد الشعراء الموسيقى ، لكنهم أعادوا توزيعها بطريقة جديدة ؛ إذ نجده تجديد للتراث الإيقاعي ، وظل وفيًا لروح الإيقاع العربي القائم على الموسيقى الداخلية والخارجية ، إما **الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية)** ، فالشعر المعاصر استعمل الوزن الخليلي لكن بشكل جديد ، فنوع الأوزان في القصيدة الواحدة ، ولم يعتمد على وزن واحد ، فنقول نازك أن الشعر الحر مستمد من عروض الخليل ، وأنه يمكن (أن نستخرج من كل قصيدة حرة مجموعة قصائد خليلية وافية و مجزوءة زمشطورة) (١١) ، أما القافية ، فتحرر الشاعر المعاصر منها ، فلم يلتزم بقافية موحدة في قصيدته ، وترى نازك أن الأوزان تبدو سهلة على الشاعر لكن يكتشف الشاعر مدى صعوبتها عند الكتابة ، وقد تحدثت عن الفوارق بين الشعر القديم والحديث ، الأول : أن القافية في الشعر القديم تكون موحدة ونهاية الشطر الثاني من البيت ، أما في الشعر الحر فتكون في كل شطر قافية لأنه شعر ذو شطر واحد وتكون غير ثابتة (١٢) ، أما الثاني ، فهو أن شعر الشطرين لا يتساويان عروضيًا أما الشعر الحر فهو ذو شطر واحد ، وقد ذكرت نازك قصيدة من شعر خليل حاوي (السندباد في رحلتها الثامنة) (١٣) يقول فيها:

داري التي أبحرت غربتِ معي (مستفعلن)

وكنّت خير دارٍ (فعول)

(فَعُول)

في دوخة البحار

(مُسْتَفْعَلُن)

في غربتي وغرفتي

(فَعُول)

ينمو على عتبتها الغبار

استخدم الشاعر تفاعيل شعرية مختلفة وقافية غير موحدة ، إذن الشاعر أستخدم التفاعيل الخيلية ، لكنه نَوَّع فيها ، وتحرر من القافية الموحدة .

المفاهيم الجمالية والفكرية

نازك تتعامل مع الشعر الحديث على أنه تجربة جمالية شاملة تتجاوز الشكل والمضمون إلى إحساس جديد بالوجود ، الجمال عندها ليس في الزخرفة اللفظية ، بل في الصدق الفني ، معتبرة أن أعظم شعر هو ما ينبع من تجربة شعورية صادقة وموقف إنساني عميق ، فتقول (الشعر ليس لعبة ألفاظ ، وإنما هو انفعال صادق يترجم في لغة موسيقية نابضة) (١٤) ، وتشير أيضاً إلى أن الجمال في الشعر العربي الحديث يجب أن يُقاس بقدرته على تجسيد القيم الإنسانية الكبرى ، كالحزن ، والأمل ، والحرية ، والبحث عن المعنى ، وبعدها ذكرت أن الشعر القديم كان يؤدي وظيفة اجتماعية وأخلاقية ؛ إذ كان صوت القبيلة وضمير الجماعة ، فكان الشاعر هو صوت الجماعة ، يحمل أصداً القبيلة ومفاخرها والدفاع عنها ، ويعكس في نظمه الإحساس الجمعي ، أما في الشعر الحديث ، فتحول من الوظيفة الاجتماعية إلى الوظيفة الوجودية والذاتية ، فلم يعد الشاعر لسان الجماعة ، بل أصبح صوت الانسان الفرد فتقول : (إن الشعر المعاصر أصبح تعبيراً عن الإنسان الفرد ، عن قلقه وأسئلته ، بعد أن كان صوت الجماعة في العصور القديمة) (١٥) إذن هذا تحول في الرؤية الفكرية للشعر العربي ، فالمقارنة لا تقف عند الشكل الوزني أو الصورة ، بل تمتد إلى جوهر الرؤية الشعرية ، وهذا التطور ليس قطيعة ، بل هو تطور طبيعي نابع من تغير الوعي الإنساني

الخاتمة

تناولت نازك قضية التجديد الشعري من منظور متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، مؤكدة أن الحداثة ليست انقطاعاً عن التراث، بل تطوّر طبيعي له واستمرار لجوهره الإبداعي، وربطت هذا التحوّل بتغيّر الشكل الشعري، إذ حافظ الشعر الحديث على الإيقاع العربي عبر تفعيله الخليل، لكنه حرّرها من الجمود ليمنح القصيدة مرونة موسيقية تعبّر عن التجربة المعاصر.

ولم تغفل عن التحذير من الإفراط في الغموض، مؤكدة أن الشعر يفقد قيمته إن ابتعد عن الصدق والوضوح الإنساني، ومن خلال مقارنتها بين الشعر القديم والحديث، كشفت نازك عن تحوّل جوهري في الوظيفة الجمالية والفكرية للشعر: فالشعر القديم كان صوت الجماعة، مرتبطاً بالقيم الاجتماعية والمثل الأخلاقية، بينما أصبح الشعر الحديث صوت الإنسان الفرد، يعكس قلقه وأسئلته ووعيه الوجودي، وبذلك انتقل الجمال من الخارج إلى الداخل، من الزخرفة اللفظية إلى الصدق الفني والعمق النفسي

قد أرست نازك الملائكة من خلال هذا الكتاب أسس النظرية الشعرية الحديثة في العالم العربي، وأثبتت أن التجديد الحقيقي لا يتحقق إلا عبر وعي نقدي يوازن بين جذور التراث واحتياجات العصر، فهي لم تدعُ إلى هدم القديم، بل إلى إعادة قراءته بروح جديدة، تجعل الشعر العربي فناً حياً متجدّداً يعبر عن جوهر الإنسان في كل زمان

قائمة المصادر

- ١- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان : ٧
- ٢- المصدر نفسه : ٥٠
- ٣- المصدر نفسه : ٥٢
- ٤- المصدر نفسه : ٤١
- ٥- الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ، بيروت دار العودة ، ١٩٨٦ ، مج ٢ : ١٣٨
- ٦- ينظر قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٦٣
- ٧- ينظر المصدر نفسه : ٢٣٧
- ٨- ديوان ليالي الملاح التائه ، علي محمود طه ، القاهرة ، ١٢٣
- ٩- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٣٨
- ١٠ - ديوان ليالي الملاح التائه : ١٢٥
- ١١- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٧
- ١٢- ينظر المصدر نفسه : ٩٣
- ١٣- ينظر المصدر نفسه : ٩٦
- ١٤- المصدر نفسه : ٢٣٦
- ١٥- المصدر نفسه : ٣٧